عبد السلام العجيلي

المقامات


CORNELL UNIVERSITY
ITHACA

المقدمة

هـــذه المقامات ...

بدأ الامر فيها ، منذ سنين بعيدة ، ألهيةً على مقاعــد الدرس . فعندما يكون الذهن منصرفا عن متـــابعة ما يلقيه الاستاذ على تلاميذه ، ويكون المقعــد منزويا عن أنظار الاستاذ في منبره ، ويكون الاستاذ منشغلا عن مراقبــة الطلاب في مقاعدهم ، كنت اتناول دفتر اقرب رفيق اليّ مجلسا فازجي الوقت بكتابة جمل مسجعة على جلده اتناول فيهــا المدرسة والدروس ، والمعلمين والتلاميــذ ، بالمزاح والتندر والسخرية . ولا يزال كثير من الزملاء في تجهيز حلب أو في جامعة دمشق يحتفظون بالدفاتر التي سجلت على جلودها ، بطريقة السجع والازدواج ، صفحات ساخرة ضاحكــة علــى انفسنا وعلى من حولنا وعلى الجو الذي كنــا نعيش فيــه في تلك الايام الخوالي ...

ولم يكن يخطر ببالي في تلك الايام اني اكتب مقامات.

فلم يكن فن المقامات قريبا من ادراكي الفني قرب الشعر أو الدراسات الادبية • بل لم يكن عدد ما قرأته منها يتعدى مقامتين أو ثلاثا مما كان المؤلفون المدرسيون يختارونه في كتبهم للهمذاني والحريري ، وغير حديث عيسى بن هشام للمويلحي الذي اعتمد في تأليفه له هذا الضرب من الكتابة • الا ان هذا الطراز من الكتابة الساخرة كان قد راق لمزاجي الفني على مايبدو ، اذ وجدتني في ذات يوم انسج على منواله حين اردت ان اصف في اسلوب لاذع بعض مظاهر جو الدراسة الطبية كما كنا نتلقاها في المعهد الطبي العربي ، وهو ماسمي بعد بكلية الطب في جامعة دمشق • وهكذا جاءت المقامة الطبية الاولى التي كتبتها لتنشر في عدد خاص من مجلة الصباح الدمشقية ، اصدرته الرابطة الثقافية في المعهد الطبي العربي عام ١٩٤٢ •

والحق ان تلك المقامة الطبية الاولى ، التي لاأزال افاجأ حين القى بعض اخواني ، من قرائها حين نشرت ، يحفظ بعض مقاطعها عن ظهر قلب ، الحق انها شجعتني بما لقيته من اعجاب وثناء على ان اتبعها بمثيلات لها من طرازها • فكانت المقامة الحقوقية والطبية الثانية ، وفيهما سخر بالجو الذي

كــان يسيطر على الدراسة الجامعية في معهدي الحقوق والطب في أيامهما ، كما كانت رسائل اخوانية كتبتها على طريقــة المقامات ردودا على أصحاب كتبوا الي في نفس الاسلوب • وذلك ان شهرة المقامات الاولى التي عرفت في أوساط الشباب المتأدب قد لصقت بي ، في ذلك الحين ، فأصبح اسمي مقرونا بها • حتى لقد كنت اتهم بكل ما ينشر في صحف تلك الايام آخذا اسلوب المقامات • وظل بعض اخواني ، في تأثرهم بانطباعات قراءتهم لمقاماتي الاولى ، يلقونني بين الحين والحين بالسؤال عن ذلك النتاج من ادبي وعما اذا كنت افكر في ان انشر مقاماتي في كتاب مستقل• وكان بعض اولئك الاخوان في حسن تقديرهم لتلك المقامات يصارحونني بانها في نظرهم اذا لم تفق في قيمتها ما نشرته من قصص وروايات طوال خمسة عشر عاما من الانتــاج الادبي ، فانها لاتقل في حال عــن أي نتاج لي مما هــو منشور ومشهور •

والآن اراني قد جمعت هذه المقامات ، وبعض ما يقاربها من ادب السخرية ، لتنشر في هذا الكتاب المستقل • ترى لم فعلت هذا ؟ إستجابة لاقتراحات اخواني المعجبين ، ام استعادة لعبث الصبا والشباب ام ايمانا مني بالقيمة الفنية لما كتبت ؟ ربما كان لكل من هذه العوامل نصيبه في اقدامي

على ما فعلت . الا اني في عزمي على نشر هذا الكتاب لم انس ان المقامات والمقالات التي يحتويها ليست مؤهلة ، لنوعية كتابتها ولبعض ما جاء فيها ولذاتيتها المفرطة حين تدور كلها حول شخص الكاتب واشخاص اخوانه ، انها ليست مؤهلة لان يعجب بها كل الناس ولا ليقرأها كل الناس . ولهذا فقد حرصت ، مع العناية الزائدة باتقان طبعها ، على ان لا تطبع الا في عدد قليل من النسخ ، لتكون في قلتها في حرز من ان تبذل أو ان تبتذل ...

وبعد ، فلقد كنت احب ان اقدّم لهذه المقالات الساخرة بمقدّمة جدية تبحث في فن المقامة في الادب العربي نشوءا وتطورا وقيمة فنية . وانه لبحث في النقد الادبي يستهويني لولا ان الظروف تبعدني عن التصدي له بألف وسيلة ووسيلة . فاذا لم أستطع ان اقدم الدراسة فاني اقدم الى قرائي ، وكلهم فيما اقدّر صديق أو معرفة ، اقدم اليهم النموذج في هذه المقامات التي نسجت على المنوال القديم بخيط جديد . ورجائي ان لايجد قرائي الخيط متنافرا مع المنوال وان يكون في نظرهم ، فوق ذلك ، شائقا وجميلا .

شباط ١٩٦٢ ع.ع.

المقامة الطبية الأولى *

حدثنا عبدُ السلام بن مُحِب : قال كنتُ في معهدِ الطب ، أدْرُسُ الامراضَ واسرارهَا ، والجراثيمَ واضرارَها ، والطفيليات واخبارَها ، على الاستاذ الذي شاع ذكره في العالمين أيَّ شيوع ، وسطع علمه ابهى سطوع . . . الدكتور جبرائيل بن بَخْتَيْشوع[1] ، وبينا نحن في درس من دروس ذلك النطاسي العلاّمة ، والفطحل الفهامة ، اذ دخل علينا القاعة فتى مصاب ، بمختلف العلل والاوصاب : من حدبة في ظهره ،

---

* نشرت في مجلة « الصباح » الدمشقية ، في عدد خاص اصدرته الرابطة الثقافية في المعهد الطبي العربي ، وبتوقيع « بديع الزمان » .

(١) جبرائيل بن بختيشوع طبيب الخليفة المامون واشهر افراد اسرة بختيشوع المعروفة بممارسة الطب ايام الخلفاء العباسيين .

وسَلْعة[1] في صدره ، وقرحة في جُذْموره[2] ، وانصباب في تاموره[3] . . . قد برز لفرط الهزال ظُنْبوبه[4] ، وتَغَنْغر[5] عرقوبه ، واصابه بعد النحول قحول[6] ، وبعد الفلوج شلول . فلما وقع نظر الاستاذ عليه ، افرغ ليتراً من الكحول في يديه ، وخطا خطوتين الى الوراء ، وثبت نظارتيه فوق عينيه على السواء ، ثم اخرج صوته من انفه أخنّا ، فبدأ باسم الله وبيقراط ثنّى ، وصاح فيه : من تكون . . . ايها المأفون ؟

---

(١) السلعة ورم كالغدة بين الجلد واللحم .

(٢) الجذمور أصل الشيء واوله ، وفي الاصطلاح الطبي ما يتبقى من العضو بعد بتر اغلبه .

(٣) التامور غشاء القلب الخارجي .

(٤) الظنبوب قصبة الساق . والمعري في رسالة الغفران على لسان الجني ابي هدرش :

وذادني المرء نوح عن سفينته
ضرباً الى ان غدا الظنبوب مكسورا

(٥) تغنغر : اصيب بالغنغرينا .

(٦) قحل قحولاً ، وقحل الشيخ يبس جلده على عظمه .

فعطس المريض عطسة قدّت من اضلاعه عشرا ، وزفر زفرة احالت الجليد جمرا ، وقال :

ما بين مختبر التشريح والنسـج
انا القتيـل بلا إثم ولا حرج
ما زلت في مبحث الأعصاب ادرسها
ما بين منعكس منها ومنعرج
وفي الظنابيب أنساها وأحفظها
لا بارك الله في الظنبوب من سمج
حتى بليت بـداء لا دواء له :
بالخلِب والألب، والتَّنواء، والخَمَج[1]

---

(1) الخلب غشاء الكبد ، وهو البريطون . والب الجرح البأ برىء اعلاه واسفله ينغل . والتنواء فرط التحسس . والخمج الفساد وشدة الانتان . وكلها كلمات مستعملة او معروضة للاستعمال ، في الكتب المدرسة لطلاب الطب .

أودى شبابي لم اشعر بلذتـــه
ولا تنشقت منه طيّب الأرج . . .

فثار من الاستاذ ثائره ، وعلا نائره ، وقال خلّ عنك القريض . . . فما انت شاعر هنا بل مريض ! قل ما الذي تشكو منه وكيف بدا ، وكيف امسى جسمك وكيف غـــدا ؟ ماهي سوابقك الارثية في التكوين ، وكيف صحة جدّك التاسع والتسعين ؟ وهل مات خال عمّ أمّك ام لايزال حيا ، وكيف كان يأكل اللحم كباباً آنذاك أم شيّاً ؟ واخبرني عن حالتك الواهنة ، اصحيحة معدتك ام واهنة ؟ وهل يجيء نَفَسُك ويعود ، واخيراً . . . كم في جيبك من النقود ؟

فارتفع صوت المريض بالعويل ، وقـــال ما أنا بالغريب عنكم بل زميل . أنا الذي أذابت دماغه المداواة

والامراض ، وقرحت فؤاده القلويّات والاحماض ، وعششت في عقله كل الجراثيم ، وضحّى ايامه على مذبح الغين والميم [1] . فاعفوني من السؤال والاستجواب ، والاستطباب ومضاد الاستطباب ، فقد استفحل الداء ، وعز الدواء ، وسقطت النواجذ والارحاء . فالتفت الاستاذ الينا ، وقال انعموا بهذا المريض عينا . . . دونكم اياه فاقرعوه واسمعوه ، وجسّوه ومسّوه . فاندفعنا اليه كالسيل ، وهو ينادي بالثبور والويل ، فنزعنا عنه اسماله ، وجسسنا كبده وطحاله ، وشددناه ومططناه ،

---

(١) الغين والميم شارتا الغيـاب والحضور في ساعات الدروس الجامعية . ولما كان ثمة حـد ادنى لعدد الميمات ، اعني عـدد ساعات الحضور ، لا يحق للطالب بدونه من التقدم للفحص السنوي النهائي ، فان الطالب الجامعي حريص على الاستزادة من الميمات في سجلـه بكل الطرق (انظر فيما يلي المقامـة الحقوقية) .

وافرجنا عنه وغططناه ، وقرعنا صدره فاذا اضلاع كأصابع البيان ، تهتز بمختلف النغمات والالحان ، وعضلات كالاوتار ، تدق انواع البشارف والادوار ، وقلب يركض خببا[1] ، ويدق عجبـــا ، ويصيح واحربا . . .

فلما فحصناه مرات ومرات ، وايقنا بأنه لم يصبح بعد في الاموات ، فتح الاستاذ جرابه ، واستخرج كتابه ، واستشار دليل الطبيب ، فيمن ينجع فيه الدواء ومن يخيب وبعد تصفح وتقليب ، وترجيع وتطريب ، التفت الينا وقال : ياله من داء عضال ! اعطوا هـذا المسكين دواء يزيد ضرّه ، ويقصف عمره ، ويكفي

---

(١) الخبب لون من عَدْوِ الخيل ، وفي الاصطلاح الطبي صوت دقات القلب عند المصابين بداء برايت من الآفات الكلوية .

الناس والطب شرهُ . . اكتبوا له قيراطا من السم الهاري ، وحبة من العصفور الناري ، وخُشْكُنانَة [1] من زرنيخ ، لا يقول بعدها آخا ولا ايخ . وليأخذ من هذا الدواء جرعة قبل الموت وجرعة بعده ، وانا قمين بأن يبلغ الليلة لحده . فأخذ المريض الوصفة وخرج مذعورا ، ولا جزاء ولا شكورا . فصحنا به : يا هذا اذا عبرت الصراط ، فبلغ تحياتنا جالينوس وبقراط . وسلم على الحرث بن كلدة [2] ولقمان الحكيم ، وكل

---

(1) خشكنانه ، من الفارسية خشك اي يابس ونانة اي خبز ، ما يسمى اليوم بالبسكويت . وفي ترجمة حياة ابن الرومي ان الوزير القاسم دس اليه ابن فراس فاطعمه خشكنانة مسمومة مات بها بعد ايام .

(2) بقراط ابو الطب واشهر الاطباء الاقدمين . جالينوس الطبيب اليوناني المشهور . الحرث بن كلدة الثقفي طبيب العرب الذي وفد على كسرى وداوى سعد بن وقاص رضي الله عنه .

طبيب هناك او عليم ! فصاح بنا : لا ، ليس طريقي
على الجحيم ! واسرع خائفا منا ، كأن وراء ظهره جنًا ،
حتى غبنا عن عينيه وغاب عنّا . . .

١٩٤٢



المقامة الحقوقيّة

حدثنا الاريبُ النجيب ، المحبُّ بن حبيب ، قال : أخنى عليَّ الدهرُ مرة بصروفه ، ولفّني البؤسُ في كثيفِ سجوفه ، حتى الجأني الافلاس ، الى التماسِ الناس . . فعوّلتُ على ركوب الطريق القصير ، تخلصاً من مضايقات الضمير . واستشرت بذلك الناصحَ الصدوق ، فقال لي : عليكَ بمعهدِ الحقوق . فدخلتُ فيهِ قاعةَ واسعةَ الارجاء ، فسيحةَ الانحاء ، ما فيها من الاحياء الا طالبٌ نامَ او كاد ، وشيخٌ قد تجلببَ بالسواد . وما أن رآني ذلك الشيخُ حتى صاحْ : الا حيَّ على الفلاحْ . . . حيَّ الوطيس ، وفُتِحت الجلسةُ

بأمرِ الرئيس . ثم أخرج قرطاساً من جيبه ، ويراعةً
من عُبّه ، واخذ يقرأُ اسماءَ لاحتْ له في الخيال ،
فقلت تالله ان هذا الشيخ لفي خبال . ولكني رأيت
الطالب ثغا مرةً وبَغَم ، واجاب عن كل اسمٍ بنعم .
فقلت له ما أعجب حالَك ، واشد ايها التلميذ ضلالَك .
افأنت احمدُ وسعيد ، وخالدٌ ووحيد ، وبهاءٌ وعلاء ،
وكلُّ ماذكرَ الاستاذُ من الاسماء ؟ فقال دعني ، انه
جاء في البَنْد الذي بعدَ الاخير ، من نظام الجَر
والتنوير ، أنْ طوبى لمن زادَ في دوامِ اخوانه ميماً[1] ؛
اذنْ لقد فازَ فوزاً عظيماً . . .

وما زال الشيخُ يخبطُ في عَشْوائه ، ويخلُطُ في

---

(١) الميم شارة الحضور في سجلات طلاب الحقوق (انظر الشرح في المقامة السابقة) .

اسمائه ، حتى بلغ اليّ الترتيب ، فصاح : يامحبُ بنَ حبيب . قلت : لبيك ، اني قريب . قال : ممن انت في العباد ، واين دارك من البلاد ؟ قلت اني امرؤ من سكان الدهناء والربع الخالي ، قد شددت الى جنابكم رحالي . قال اخبرني كم ميماً لديك ؟ قلت في بالي : ويلي منك وويلٌ عليك ، جئنا من موماةٍ فوقعنا في ميم ، فلا حول ولا قوة الا بالله العليّ العظيم !... ثم سألته رافعاً صوتي ، وقد أيقنتُ بفوتي : وما الميمُ ، ايها الكريم ؟ فقال اني اراك من الجهل في ليل بهيم ... اخبرْه ياجارَه ، وأنرْ له افكارَه . فالتفت اليّ الطالب وقال : روينا في الكودْ بينال ، في المادة السابعة ، وفقرته القطنية الرابعة ، عن بارتول وكوجاس ، وغيرهما من الناس ، ان صولون الحكيم ، قال في الميم :

حبّذا الميمُ يزدهي في دوامي
ضامرَ الخصر سمهريّ القوام

ذو دلال وهبته نورَ عيني
والثلاثَ اللطافَ من اعوامي

يامحطًّ الجمال في كل درس
وربيبَ الجهابذِ الاعلام

لامَني العلمُ في هواك وأغرى
بي غيناً من غائبٍ نمّام

ما حضوري الدروسَ في كلّ يوم
واحتمالي لترهاتِ الكلام

غير سترٍ سَدَلتُه دون حبي
لك خوفَ الوشاة بين الانام

فصفق الاستاذ بيديه ، وقال بخٍ له وبخٍ عليه ، ما أبدعَ الكلام ، وما احلى النظام ! قلت يا اصلحك الله اني لا افهم ما يقول ، فمن كوجاس ومن بارتول ؟ فصاح يالك من جهول .. كأنك لم تقرأ كتاب « العقوق في الحقوق » ؟ قلت كلاّ . قال ولا « الاكاذيب في الأساليب » ؟ فأجبت بأن لا . قال فمن تعرف اذن من اعـلام الفقه والتشريع ، والتهميشِ والتفريع ؟ قلت اعرف كلاً من جاء ذكرُه في الاغاني ، كابي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني ، والداهيةَ المعروفَ باياس ، وسواراً وابنَ عباس . قال دعني من اياسِك وابن عباسِك . قلت هم خير من انجاسك . فثار الشيخ لكلامي وارتعد ، وقام وقعد ، وقال اقسم بصولونَ اليوناني ، وجوستنيانَ الاول والثاني ، وبدالوزَ وكابيتان ، وكلّ

قناصل الرومان ، أنْ لولا ما جاء في قانونِ الجزاء ، وقرارات مؤتمر السفراء ، وما وردَ في مقدمةِ النظامِ الاداريّ ، وملحق القانون العقاريّ ، لحطمتُ بيدِ العدالةِ أيْدَكَ ، ورقّنْتُ من سجلّ الاحياءِ قَيْدَكَ .

فصحت به مهلاً مهلاً رويدَكَ ! من تحسبني يا هَناهْ ؟ وايّ الناس تظنني اياهْ ؟ اقسمُ بكل ما في القانون من اوتار ، وبقاضٍ في الجنة وقاضيينِ في النار ، وبالهامش وهامش الهامش ، وشرحِ ابن يحيى على ابن عائش ، انه لولا ماورد في كتابِ الخَراج ، وديوان ابن حجّاج ، وما نقله الجاحظ في البيان والتبيين ، وما اثبتته حاشية ابن عابدين ، لأ ذلتُ شيبتكَ ، ونزعتُ هيبتكَ ، وجعلت اكبرَ جزء من رأسك الملتاث ، كنصيب ابن عمِّ العم من الميراث ! . . . ثم لا ابالي بما في قانونك من بنود ،

وبروتوكولات وقيود. وخرجت اجرُّ فضل ردائي ،
والشيخ ينتفض ذعراً من ورائي ، وانا اقول :

اخنى الزمان على اهلي وارهاطي
ولفَّهم دهريَ القاسي بأقماط
واستبدل الناس منهم كلَّ طاغية
وكلَّ علج لهم اسماء قرباط
لا بارك الله ما جُشمتُ من سفر
كلَّتْ له قدمي وانشقَّ صبّاطي
حتى حللتُ بدارٍ لا انيسَ بها
وشيخِ سوءٍ كثيرِ اللغْوِ خلاّط
ان قلت صلِّ على أعلامِ امتنا
يقول صلِّ على رومٍ وانباط

يا طالبَ العلمِ منه انتَ في شططٍ

ذا العلمُ كذبٌ واغلاطٌ باغلاط ..

١٩٤٢



المقامة الطِبّيّة الثانية

حدثنا عبد السلام بن محب ، قال انهكتني ليلةَ دراسةُ الطب ، فتوسدْتُ رزمةً من العظام ، ونشدتُ السلوَّ في المنام . فرأيت فيما النائمُ يرى ، اني متُّ وغُيّبْتُ الثَّرى ، فلما وعيتُ ما حدث ، ووجدتني وحيداً في الجدث ، هيأت مسمعي(١) لمن يزور ، وقلت علَّ مريضاً بين اهل القبور . وبينما انا في انتظار وامل ، أروض عدّتي على العمل ، اذ شُقَّ القبرُ عن اثنين من العمالق ، في ايديهما المطارق ، كأنهما كتابُ التشريح في الطول ، وطلاّبُ الطب في الفضول . فابتدرني

(١) المسمع والمسماع : جهاز الاستماع المشهور بيد الطبيب .

احدهما سائلاً بصوت ابَحّ ، بعد ان عطس وكحَّ ،
قال من ربُك يا هـذا وما دينُك ، وكيف ايمانُك
ويقينُك ؟ قلت يا عبدَ الله من علَّمكَ هـذا
الاستجواب (١) ، واين قرأتَه وفي ايّ كتاب ؟ سأسألُك
فتعلّمْ مني السؤال : من انتما قبلَ كلِّ مقال ؟ فتنحنح
احدهما وسعلَ ، وبصق وتفلَ ، وقال انا منكرٌ وهذا
نكير ، وان لم تجبنا اصليناك السَعير . قلت مهلاً
يا صاحبيّ مهلا ، حللتما اهـلا ونزلتما سهلا ، ما بالك
يا منكرُ تسعلُ ومنذ متى ، كيف جاءَكَ هذا الداءُ
ومن اين اتى ؟ اخبرني هل تُحَمْ في الليل ، وتبيت
في ويل ، وتصبح من العرق في سيل ؟ فزمجر منكرٌ
وصاح ، صهْ ايها الملحاح ! قلت يارعاك الله ، اتغضب

(١) الاستجواب هو اول مراحل فحص الطبيب للمريض ، يستفهم بـه الطبيب عن اعراض المرض من المريض نفسه .

أنْ سألتكُ سؤالاً بدا ، فكيف لو جاءك استاذُنا
غدا ؟ الا فاخبراني كم لكما مقيمين في هذه القبور ،
بعيدين عن الهواء والنور ؟ قالا : منذ ملايين الدهور .
قلت تطلبان مني السكوت ، وصحتكما اوهى من
خيوط العنكبوت ! ؟ . ان اردتما صلاح الحال ، فخذا
من طول البال ، قدرَ مثقال ، ومن نعمة العقل جُرعة ،
ولا تمضغا بسرعة ، واقلاّ سؤال الناسِ والكلام ، ولا
تطيلا مكثا في الظلام . فقالا سنجزيك على طبّك الجزاء
الوفير ، اذكُرنا اذا تخبطتَ في السعير . . . ورفع
احدهما المطرقة بكلتا يديه ، واهوى بها عليّ بكل قوة
لديه . فغبتُ في ليلٍ من الغيبوبةِ حالك ، ولما فتحت
عيني وجدتني . . . في حضن مالك .

قال ابنُ محبّ : فرأيت مالكاً يدهده العصاة في

النار ويُكَبّ ، ويقول ماذا تهوى وتحب ، اتريد ان القيكَ مع الفلاسفة والزناديق ، ام اصليك الدركَ السابعَ من نار الحريق ؟ قلت ان دوبيترن[1] قد روى في كتابه ، عن فحول الطب وأربابه ، ان الحريق درجات ستّ ، فهل زاد سابعة بعد ان متّ ؟ قال اتهزأ بما اقول ؟ ما الطب ومن الفحول ؟ تالله لا قذفنّك قذفةً في الجحيم ، ولا سقينّك من ماء حميم . قلت اني اذن منهما في نعيم . . . اتظن عندك اشد من التشريح عذابا ، واعظم من دروس الداخلية مصابا ؟ اقسم لا فسدنّ عليك النار ، بتعليم الكفرة والفجّار ، ولئن كان عذابُك على الاجسام يصول ، فان عندى عذاب الجسوم

(١) دوبيترن طبيب فرنسي مشهور صنف الحروق بحسب تناولها انسجة الجسم الى ست درجات .

والعقول . . فماذا تقول ؟ فرفع مالك يديه الى السماء ودعا الله ولجّ في الدعاء ، قال تعلم اللهم اني ضقت ذرعا بالاطباء فكيف بطلاب الطب ، فاصرف عني اذى ابن محب . فلم اشعر الا ونسمة من هواء ، ترفعني في الفضاء ، حتى القت بي امام رضوان ، خازن الجنان .

فتقدمت الى رضوانَ في عجل ، وقلبي يدقُ رومبا من الوجل ، واردت التسللَ من الباب ، فصاح بي : الى اين يا هذا ، أجُزْتَ الحساب ؟ قلت نعم دخلت في العاجلة فحوصا اثر فحوص ، وميزت يرقانة من دعموص[1] ، ولطالما مددتُ يدي الى الكيس[2] ، واخذت صفراً

---

(١) الدعموص واليرقانة شكلان من اشكال الحشرات في تطورها ونموها .

(٢) كيس الاسئلة ، الذي توضع فيها ارقام اسئلة كل درس ، اثناء الفحوص ، وينسال التلميذ عن السؤال الذي يتناول هو رقمه بيده من الكيس .

من الرئيس . . . ولكم دجلت على المميزين في الإمتحان
وسقطتُ في تشرينِ وحزيران ! . . . فقال رضوان :
دعني من هذه الترهات ، ان كانت لديك شهادةٌ فهات .
فذكرت اني نسيتُ شهاداتي في العاجلة ، وظننتها في
الآخرة باطلة . واستغفرتُ الذي يعلم الجهر وما يخفى ،
وقلت ما اشبه رضوان ببواب المستشفى ، وكأني مريض
يود الى المستشفى الدخول ، لا مؤمنٌ بالله والرسول .
ورحتُ اتسكع حول الجنة ، وكل خطوة مني بأنّة ،
وانا اقول لعل استاذاً لي يسمع ، او مريضا أعجلتُ
له الآخرة يشفع . وبينما انا اسعى وادور ، اذ لمحت فاتنة
من الحور ، تتنقّل كالفراشة بين الزهور ، فصحت بها
يا راحةَ الاعصاب ، وشفاءَ الاوصاب . . . قالت دعني
فاني منذ خلق السُدُم ، في انتظار ابنِ محبّ وما قدُم .

فصحت بهـــا ياذات القوام الرديني ، لأنتِ اعزّ من قُزَحيةِ[1] عيني ، انا من تنتظرين منذ الازل . . . واهويت على ثغرها بالقبل !

قال عبد السلام بنُ مُحِبّ : وبينما كنت انهل من رضابها وأعُبّ ، غريقاً في لجة الوجد والهوى ، اذ سقط الكتاب من حجري وهوى ، فانتبهتُ من حلمي مرعوباً ، فوجدتني محتضنا من العظام ظنبوباً[2] ، وقد اهويت على قُنزعته[3] بفمي ، حتى سال من شفتيّ دمي . . . فرفستُ عندها العظام بعيدا ، وصغت حسراتي قصيدا ، وقلت :

غيري على التشريح قادرْ   وسوايَ في الطلاّب صابرْ

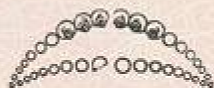
(١) القزحية هي الطبقة الملونة المتقلصة من طبقات العين ، الواقعة بين القرنية والجسم البلوري .

(٢) الظنبوب : قصبة الساق . انظر شرح المقامة الاولى .

(٣) القنزعة الحافــة الحادة للعظم .

لي كلَّ يوم موتَــة   بينَ المجــاهرِ والمخابر
لمّــا رأيتُ أوائــلا   للكتبِ ليسَ لهَا اواخر
وعلمتُ اني لا محالــةَ   في انتهاء العام طائر
أُغمــي عليّ فاسعفو   ني بالأثــير وبالنشادر
وودتُ اني عنــدهــا   دوماً الى الاغماء صائر . .

١٩٤٣



صديقي ثريّا ذو الأنف *

صديقي ثريا ، وما هو صديقي حقيقةً ولكن صار ودّ الناس خبّاً ، فتى في الثالثة والعشرين من عمره ، ابرزُ ما فيه أنفُه .

وليس انفُ صديقي ثريا مثلَ انف كليوباترا [1] الذي كاد ان يغيّر وجه التاريخ او فعل . ولا كأنف قصير [2] الذي كان في جدعه هلاك الزبّاء . ولا كأنف

---

* تشارك هذه المقالة المقامات في روحها وان افتقدت التسجيع في اسلوبها .

(١) « لو كان أنف كليوباترة أقصر بقليل ، لكان من الممكن أن يتغير كل وجه الارض » .

« باسكال »

(٢) « لامر ما جدع قصير أنفه » . انظر حكاية قصير والزباء في امثال لعرب وكتب التاريخ الادبي .

ابن حرب[1] الذي كان يطوف بالبيت وصاحبه في الدار يصلّي . لا ولا حتى مثل انف سيرانو الذي خلده ادمون روستان . ولكنه مع ذلك ابرز ما في ثريا ، واشهر ما عرف به ، واكثره دلالة عليه وحكاية عنه .

واذا كان الناسُ ، وأهلَ الفراسةِ منهم أعني ، قد درجوا على أن يجدوا في الملامح عنوانَ السرائر ، وان يقرأوا في الآناف دلالةَ الطباع ، فان سرائرَ صديقي ثريا وظواهرَه ، وطباعَه واخلاقه ، لم تكن الا دلالة على حالِ انفه ومزاياه ، وعلى مقام ذلك الانف في الانوف ، وصفه بين الصفوف . وكذلك كان التواءُ طباعه ناماً عن احديداب انفه ، ونفختُه الكذابةُ حاكيةً عن

(١) « لك انف يا ابن حرب انفت منه الانوف
انت في الدار تصلي وهو بالبيت يطوف »

نُشوز قصبته وهي عَجفاء ، وانحدارُه الى السفاسف مُشبِهاً تدلّي ارنبةِ انفهِ الى فمه ، كأنما هي منقارُ بوم لا انفُ صديقي ثريا .

وكلُّ مافي وجه صديقي ثريا ، غيرَ أنفه ، خادمٌ ذلك الانف ، وتبَعٌ له ، وعالةٌ عليه . فالشفتان الغليظتان قد حُفرتا بأخدود عميق ليتلقى الارنبة التَّعِبة . والخدّان الممتلئان وسادتان يستريح عليهما الجناحان . والحاجبان الكثّان وقاءٌ لسفحي الانف من رحمة الله . واما النظارتان اللامعتان فانهما تبدوان كخُرُجْ من القطيفة على ظهر حمار ، حمار اعجف ، مشفرُه على فم صديقي ثريا ينفخُ فيه كلما تنفس ، وكراعاه على وجنتيه يرفسان كلما انفعل ، وظهره من الهزال كالصراط : ادقُّ من الشعرة وأحدُّ من السيف .

وما وجه صديقي ثريا فحسبْ خادم انفه بل كلُّ وجوده ، وكذلك كلُّ اعماله . فاذا طُعِمَ كان انفهُ شريكَه في الاناء ، واذا شرب انغمست ارنبته في الماء . عيناه لا تنظران الى ابعد من انفه . وعقله لا في رأسه بل في رأس انفه . وكلامه لا من حنجرته بل من تجاويف انفه . . . وحتى حياته فهي حياة برغم انفه !

وليس في صديقي ثريا من خلة صالحة الاّ والى انفه مردُّها او منه منبعها . فما فضوله الا حشرُه انفَه في كلّ مكان . وما خيلاؤُه الا حبٌ منه ان يرفع أنفه فوقَ الانوف . ونزقه ان هو الا حِدةٌ في انفه ، وسلاطتُه ان هي الا أنَفَةٌ فيه . وما بهِ عيّ ولكنَّ انفَه اغناه عن اللسان ، وتعابيرَ خيشومه اجزأتُه عن

البيان . فان غضب ازرقّ منخراه واضطربا اضطرابَ منخري جرْو لاهث . وان وَجِل اصفرّا وارتعشا ارتعاش سِنَّور جازع . وان فرحَ استطالت ارنبتُه حتى اشبهت خرطومَ فيل . وان طمع انكمشت حتى حاكت خُطْمَ خنزير . وان خجل ، وقلما ينتابه هذا الضعف ، احمرت وانعقفتْ حتى حكَت منقارَ ببَّغاء . بلاغةٌ عجز عن مثلها شبيب بن شيبة ، وبيان قصر عن مثله سحبان وائل . . . وقام لهما انف صديقي ثريا .

قلت يوماً لصديقي ثريا وقد آنست فيه طيب نفس كأنه تخلص من سلطان انفه : أَنْفُك هذا ياصاحبي ماشأنه ؟ انت تحمله ونحن منه في عناء ، وتتنفس به ونحن نكاد منه نختنق ، تديره علينا كأنه عصا موسى

ونحن السحرة ، وتنفخ علينا منه كأنفاس جهنم يوم الموقف . . . اهو داءٌ خامَرَك من ابويك ، ام ورمٌ اصابَك في صباك ، ام هو دعاءُ مظلوم منك ، ام غضب والد عليك ؟ أأنت ياصاحبي صديقي ثريا ام انف صديقي ثريا ؟

فانفرجت شفتا صديقي ثريا عن ابتسامة كادت ان تكون عذبة لولا ظلُّ انفه ، وقال : اسمع ياصاحبي ، هو انفي الذي وُلدتُ به وربيتُ في ظلّه وسميت له باسْم نجم ، وذلك حين بلغ عِرنيْنُه الكواكب . خالطت به الناسَ حتى أنِفوا مني ، وخالطوني به حتى أنِفْتُ منهم . هو مفخرتي وميزتي والغاية التي أعيش لها . فلو كنت طبيباً لما عدوتُ باختصاصي الانف ، أو حقوقياً

لما عملتُ في غير الاستئناف، أو مهندسا لما هندست سوى الأنفاق ، او اقتصاديا لما تجاوزت باب الإنفاق . . .
به تلقيت اول أنفاسي ومنه تخرج آخرها !

قلت اذن فتقبّل مني يا صديقي هذه البويتات في حق انفك المحترم . قال هاتهن . فانشدته :

رأيتُ انوفا تستعزّ باهلها
وأنفُكَ لا تسري سُراه انوف

تحدب مثل السيف ثُلّمَ حدُّه
ولكن به للآمنين حتوفُ

وما زال في صحراء وجهك قائما
كما ديدبانٌ فوق فيكَ منيفُ

هنيئاً لك الانفُ الذي انت جسمُه
ولا زال فيه من مخاطك ريفُ

ومن ذا الذي يشكو الحياة وهمّها

وفي منخريه زامرٌ ودُفوف

فبوركَ خيشومٌ بوجهك راسخٌ

به من غريب العاديات صنوفُ

وبوركتِ الارضُ التي انت فوقها

ولا تعتريها هزّةٌ وخُسوفُ ...

فعادتْ الى صديقي ثريا الأَنَفَةُ التي فيه اعهد ، فشمخ بانفه الى السماء وعطس عطسةً ملأت اطباقَ الفضاء ، ثم انصرف عني وهو يدفعُ انفه امامه ، استغفر الله بل وهو يسير وراء انفه ، حتى المنعطف القريب الذي حجب عن عيني صديقي ثريا وانف صديقي ثريا . . .

١٩٤٣

المقامة البرازيلية *

حدثنا عبدُ السلام بن محب :

قالَ ، قَرِفتُ يوماً من مضايقات الطب ، فوضعتُ يدي في جيب صـــديقي ، ودخلتُ أوَّلَ مقهىً في طريقي . . وصحتُ بنادِله يا غلام ، صفّ الراووق وفضّ الفُدام ، واسقنا مما عندك من مُدام . فجاء بشراب كالماء في القُوام وكالقَطِران في اللون ، لا هو بالكُمَيْت ولا الجَوْن . فسألته أيّ شيء ذا الشراب

---

* لمقهى البرازيل في دمشق شهرة واسعة بتردد المثقفين عليه بين ادباء وسياسيين واساتذة جامعة ورجال صحافة ، حيث يتبادلون في رقعته الضيقة احاديث السياسة والادب المطبوعة بطابع التهكم والسخرية والنقد اللاذع (انظر فيما يلي المقامة المسكوبية) .

وفي هذه المقامة وصف لصنف من مرتادي هـــذا المقهى المشهور ، صنف المتعلقين بقشور الثقافة ومظاهر الادب .

الهزيل ؟ قالَ ذي قهوةُ البرازيل ، قلتُ واذلاَّه !
أَبَعْدَ رأسٍ في حُبِّ بلادِ العُرْب شاب ، ادَعُ بنَّ
مُخا واشرب الأوشاب ؟ فصاح بي صائح من ورائي ،
وقد تشبث بطرف ردائي : لا تجدّف يا هذا على ربة
الالهام ، فانك من الأدب في بيته الحرام ! فالتفتُّ
إلى الصائح بطرفي ، وإذا شبحٌ تربع خلفي ، على عينيه
سبعُ كزالك ، وفي رأسه طريقٌ من الصلع سالك ،
وهو متأبط من الكتب شرًّا ، ومتوسد من المجلاّت
عَشْرا ، وقد استطارَ غضبه واستشرى . فقلت يا صاحبي
هوّنْ عليك ، بم اسأتُ إليك ؟ اتغضبُ أنْ سَبَبْتُ
قهوةً في أكوابها . قال كأنك لا تدري ما بها ! قلت
بلى عندي منها الخبرُ اليقين ، فما فيها غير السِلّلُوزْ
والكافيين . قال مسكين أنت مسكين ! لو أنك قرأت

كانت وسبينوزا ، مادعوتَ اكسيرَ النبوغ سِلّلوزا . . .
بفنجان واحد تقفو العباقرُ آثارك ، وباثنين تنقد طه
حسين وتشتم زكي مبارك ، فاذا زدت في الشُرْبِ
فنجانا . . . فصاح النادل فجأة من ورانا : خلِّ يا هذا
عنك الشراب ، وأدِّ الحساب ، نحن بثمن كوب منك
لا نحظى فكيف بثلاثة أكواب ؟

ولكن جليسي ما اكترثَ ولا بالى ، بل زاد
شَقْشَقَةً ومقالا . قال انظر الى هؤلاء النوابغِ حولَكْ ،
وزِنْ عند الكلام قولَكْ . فنظرت في سحاب من
الدخان فوق ضباب ، وجوٍّ من الاكسجينِ يباب ،
الى عيون خلف الكزالِكِ غائرة ، ورؤوسٍ من دخان
التبِغ دائرة ، وشباب وهُمْ كالشيب ، بين ذي لفافة
وذي بيب . قلت لصاحبي : من هؤلاء الناس ؟ قال

هم صفوة العناصر والاجناس . ذلك الذي على المِنَصّة ،
أميرُ القصّة . . . قضى عشراً من السنين طولا ، وهو
لا يزال في الفصل الأول من قصته الأولى . وذلك
المُستوْفِزُ على البار ، في رأسه قصائد واشعار ،
وملاحمُ طوالٌ ومقاطع قصار ، لا ينقصها غيرُ النظم
والاظهار . أما ذاك المستلقي على الكراسي ، فهو ربُّ
المهازل والمآسي ، وإن له من القصص التمثيلي ، وروائع
الأدب التحليلي ، ما يجعله سوفو كلَ عصرهِ ، وشيكسبيرَ
دهرِه . قلتُ وأين روائعُه ؟ قال لا تزال في صدره . . .
والعلم كما تعلم في الصدور لا في السطور ، وما زانه الصونُ
شانَه الظهور . . . واعجبْ بعد هؤلاء الفطاحل العظام ،
لمن يخصّ بزعامة الأدب مصر دونَ الشام ، كأن ليس
لدينا من هو أقصرُ من المازنيّ قامة ، أو أضخمُ من العقّاد

هامة ، أو أكثرُ مسكنة من توفيـــق الحكيم ، أو
أطيبُ نفساً من تيمور الكريم . لئن كان عميدُهم أعمى
البصر فعمداؤُنا عُميُ البصائر ، أوقادَهمُ الأدب الى
الكراسي فلقد قادَنا الى الحصائر . . . أفي غير هذه
الحُلّةِ الزرية ، يكون نبوغٌ أو تكونُ عبقرية ؟

قال صاحبي هذا واستشهد بالنادل ، الذي ما كان
عنـا بالغـافل . قـال له ألست من رأيي أيهـا الغلام
الحصيف ؟ فأجاب النادل : أيْ نعم ، عبقريةُ المطل
والتسويف ! أشهدُ أنكم عباقرُ في الهروب منّي ، قد بزّ
فنُكم في التسويف فني ، فما أحصل على حقي منكم إلا
بهياطٍ ومياط ، وتوسّل إليـكم وعياط . فقال جليسي :
دونك شهادةَ عدوٍ مستاء ، والفضل ماشهدت به الأعداء.
فجرعت كوبي على عجلْ ، وقلت يا صاحبي أجَلْ ، أرى

القهوةَ قد أيقظت شيطان شعري ، وقد طال مانام

بين السلّ والجُدْري . . ورحت أقول :

أربِـعْ على فتيةٍ عجفٍ مهازيلِ

بالشام قد لزِموا مقهى البرازيلِ

نِعْمَ الشبابُ وان كانوا ذوي هَذَرٍ

وضيّعوا العمر في شتى الأقاويل

هم أبدعوا الشعرَ في أوصاف قهوتهم

وأكثروا القولَ في مدح وتهليل

حتى وجوهُهُمُ قـــد شابَها قتَرٌ

من طول ما لَحَسوا سُؤْرَ الفناجيلِ

ثاروا على الأدب الرجعيّ وانبعثوا

يدعون حرّى إلى نبذ الأباطيلِ

زيدٌ وعمروٌ من الكتّاب كيف رَقَوْا

معارجَ المجد زُوراً دون تأهيلِ

لا هم زبائنُ قهواتٍ ولا حذِقوا

حرق اللفائفِ بين القال والقيل

ان الغلامَ الذي يحيا بجانبها

ادنى إلى المجد من دنتي وفرجيلِ

مادام في القرب من إبريقها أدبٌ

فان غرسونها أولى بتفضيلِ . . .

١٩٤٤

* * *

المقامة المسكوبية *

من العصبة النازحة من اولاد آدو[1] ، الى البقية الباقية من سكان الوطن الأم ، مقهى البرازيل ، عن طريق السكرتير العام للنازحين والمقيمين الاستاذ سعيد الجزائري .

الرجاء ابلاغه الى كل من لا يهمهم الامر ، لعدم الاطلاع .

---

* هذه المقامة رسالة كتبها صديقان من موظفي السفارة السورية في موسكو الى أصحابهما في دمشق ، في زمن كان فيه مؤلف هذا الكتاب عضوا في المجلس النيابي السوري . وقد جاءت المقامة التالية ، المقامة البرلمانية ، جوابا على مقامتهما هذه .

(١) أولاد آدو لقب يطلق ، في دمشق ، على عصبة من الصحاب البوهيمي الطباع الحادّي الألسنة الكثيري الفضول .

سلامٌ وتحية ، وقبلةٌ روحية ، الى اهل الفضل والأرْيحيـة ، المبتعدين عن القواعد الصحية . اسعد اللهُ منكمُ المساءَ قبل الصباح، يا أهلَ العربدة والجماح ، الذين لهم كل شيء مباح ، والذين عُمرهم اغتباقٌ واصطباح ، وجفوةٌ عن الصلاح ، ونَفرَةٌ عن الاصلاح .

اما بعد ، ولله الحمد ، فاننا ما نزال على العهد ، بعيدين عن الجـد ، نأخـذ من الفودكا صدا ونعطي رد . . . في الليل كما في النهار ، في الطائرة كما في القطار ، وعلى ظهر الحصان او الحمـار ، وفي الشختورة او في بابور البخار . اما انتم فما زلتم مقهورين ، بين سقراط[1] وبريمو غادين رائحين ، تشربون من المشروب اللعين ، وتأكلون اكلَ المساكين ، مِزةً قوامُها القضامةُ والبزر ،

(١) سقراط وبريمو مطعمان معروفان في دمشق .

ومن البرتقال والخيار القشر ، الهمكم الله الجَلَدَ والصبر . وقد يأتيكم صاحبكم بالقليل من المتبّل ، وبالمعفّن من المُخَلّل ، ويعدُ كلاًّ منكم مرفهاً مدلل . فاذا فات الوقت المعيّن صاح بكم الجارسون : عجلوا يا شباب ، خلّصوا الشراب ، فتحنا الشبابيك واغلقنا الابواب

الوقت حان فسكروا الابوابا
ودعوا الشراب وغادروا الاكوابا
انا لنرثي للكؤوس وحيدة
تبكي الصحاب وتندب الشُّرّابا
ان المراقبَ لا يجيزُ مخالفاً
سيانِ باشا كانَ او حطّابا

فيجيبه شاعركم مفاخرا :

بارادة العرَقِ الجليل دخولنا

وعلى خوازيق القناني نخرجُ

الليل يا صحبي طويلٌ ممتعٌ

يغري ، وموعدنا الصباح الابلج

اما اذا كانت السهرة في « الكمال[1] » وكثر القيل والقال ، واحتدم النقاش والجدال ، راح اخوانُ الصفا ، وخلانُ الوفا وجماعة الحكي بالقفا ، يتحدثون ويتسامرون ، وباعراض الناس ينهشون ، فلا يتركون ولا يدعون . فالآدمي في عينهم هبيل ، والمستحي خرطبيل ، والعالم طبلٌ جهيل ، والوطنيّ خائنٌ ضِلّيل . فاذا سكتوا عن الكلام المباح ، ودارت من الشاي الاقداح ،

---

(١) مقهى الكمال من مقاهي دمشق المشهورة ، والعشا صاحبه .

وبدأ العَشَا يطفىءُ مصباحاً بعد مصباح ، ويرفع

الكراسي عن الطاولات، ويلم البوشَ من امام الزبونات.

هناك تنقطع الشفَةُ المرّة ، وتبقى في نفوس الناس

منها حسرة . فينرفز الناس لهذا الجست البارد ، وتزعجهم

لملمةُ المقاعد ، ويشرعون في نظم القصائد . . . اما صلاح

فيقول في هجو الجارسون : لقد عرفت ذلك بالحدْس ،

وادركته اليومَ باللمس ، من أنك من معدنِ اللؤم

والدس . . . فوالله لو عرفك نيتشه ، لما سلمك فيشه ،

ولو عرفك برغسون ، لما جعلك جارسون . ولو عرفك

سبينوزا ، لما سلمك غازوزه ، ولو عرفك افلاطون ،

لما مسَّكَكَ كاسةَ ليمون . ولو عرفَك ابنُ سينا ،

لما مسكك كوتشينا . ولو سمع بك ابنُ زهر ، لما سلمك

طاولةَ زَهْر ، ولو شافَكَ غاليله ، لما اعطاك اركيله .

ولو عرفك شوبنهور ، لجعلك رمزاً للؤم البشر . ولو
ادركك الغزالي ، لا تخذ منك نموذجاً لاصحاب المعالي .
ويعقّب عليه خالد فيقول : أنفُك اشارةُ استفهام ،
واذناك حلقتا لِجام ، وفمُك مغارة الحَمَام ، وشعرك
ليفة الحمَّام ، وعيناك لا لِورا ولا لأدّام . . . رجلاك
قشتا قنّب ، مزروعتان في سبسب ، يداك طويلتان ،
بلمّ الكراسي ناشطتان ، وعن تكثير السكَّر عاجزتان .

اما ان جلستم في مقهى البرازيل ، فحدث عن القال
والقيل ، ولا حرَجْ ، ولا تسل عن الهرَج والمرجْ ،
هناك لكل غمة فرَجْ . فالسياسة في القرنة يتزعمها
سعيد ، ينصت ويستعيد ، يبدي ويعيد ، يسقط وزارة
ويرفع أخرى ، وقد تكون من سابقتها أحرى .
وصلاح وعبد المجيد ، يرقبان الجيل النسائي الجديد ،

ويضربان له المواعيد ، وينفقان له ما في صندوق
الحديد . . وقد يشاركهم في ذلك فيتا ، دون ان يستعمل
حق الفيتا . اما فريدُ النائب ، فلعله اليوم عن البرازيل
غائب ، قانع بالوجاهة والراتب ، مهمل شؤون
المكاتب . . . فان كان كذلك فهو ولد عاق ، سيلاقي
في النيابة القادمة الاهوال والمشاق ، وسوف نناصر
خَصمه جِدّيا ، ولو كان جاهلاً أُمِياً ، او خائناً رجعياً ،
لا يعرف عرَبياً ولا تركيًا . اما صاحبنا عبدُ السلام ،
فعليه منا افضلُ تحية وسلام ، لانه من حملة المباضع
والاقلام ، ونجزم انه للبرازيل قد آب ، بعد ان اخرج
جماعةً من النوّاب ، من الرقّة والباب ، فصدق عليه
قول ربكم على وجه التقريب : منها خلقناكم وفيها
نعيدكم . والى الدكتور نتوجه بالقول ، بعد الاعتماد

على ذي الحول والطول ، راجين الاَّ تشغله الاجتماعات ، وسخيفُ المقالات والخطابات ، وتسقيط الحكومات وتنصيب الوزارات ، عن كتابة البديع من المقامات والحرير من العبارات . . . وفي ذلك يقول القائل :

عبْدَ السلام تحيتي وســـــلامي

لا تنسَ توجيهي ونصحَ كلامي

دمُك الزكيُّ ارقْتَه بعروقهـــا

فاعدْتَهـا من عالم الاوهـــام

رُدّتْ اليها الروح بعد طلوعها

وتذكرت ما مرَّ من ايام . . .[1]

---

(١) اشارة الى قصة قصيرة معروفة للمؤلف ، يروي فيها حكاية فتاة جريحة انقذها الطبيب المعالج وهي في آخر رمق بأن نقل اليها دمه هــو . (قصة « حفنة دم » المنشورة في مجموعة « بنت الساحرة » ، دار مجلة الاديب للنشر) .

تلك الاقاصيصُ التي نَمقْتَهَا

تسوى النيابةَ في بلاد الشامِ

خَسِيءَ الحريري ان يصوغَ مقامةً

حلّتْ من الآداب خيرَ مقـــام

وهنا اقبل المساء ، وجاءت الديفوشكات ، فتيات موسكو الجميلات ، فتعذرت الكتابة . . . فالى رسالة قادمة ودمتم محترمين ، واذا لم تكتبوا لنا فسوف نكون على هذه الرسالة نادمين .

موسكو حرر على عجل ، في يوم من أيام تشرين الأول عام ١٣٦٦ ﻫ . هشام عبد المطلب

* * *

المقامة البرلمانيّة

من سكان الكمال والبرازيل ، جماعة القال والقيل
خفيفهم والثقيل ، الى المقذوفين في ثلوج الأحْقاف ،
أو وراء جبل قاف ، عبدِ المطّلبِ الذي هو بأعمالِ
المفوضيـــاتِ قائمْ ، وهشامِ الذي في احضان
الديفوشْكات نائم ، الممثلين عنا وعن أولاد آدو ،
في بلادٍ يركب فيها القطار ، ويُتَغدّى بها بعد الافطار ،
وإذا ركب امرؤٌ طيارة فيها طار .

سلامٌ وكلام ، إلى عبْدٍ وهشام ، وبعد السلام
اشواق ، تحترق من وصفها الأوراق ، اوفرُ في العدِّ

من انّاتِ الصافي ، وأرق من أعصاب لطفي اليافي ،
نسألُ فيها عن الحال ، احرّ السؤال ، وعن الفَوْدكا
والكافيار ، اهما من منبوت الأرض أم من محصول
البحار ؟ وما امرُ الفودْكا أمام البلابان ، أو ابنِ عمّه
قازان ، والكافيار ، أمام مخلّل الخيـــار ، أو مازة
مَقْهى مسمار ؟

أما ان سألتم عنا يا أهل موسكو ، فان حالتنا
فياسكو . وكيف بمن خَلَتْ منهم الجيوب ، وكان
سميرُهم أبو قَيْوب[1] ؟ لا يزال نهارُنا صاحياً وليالينـا
سَكْرى ، ننتقلُ فيهـا من حانةٍ إلى اخرى ، حتى
النيابةُ دَرْدَحْناها ، وانتخبنا لها فريداً وعبد السلام

(١) ابو قيوب : هو ابو ايوب الكردي الذي كان يقلقل القاف . كان يلازم المثقفين والصحفيين ، ويفرض على الوزراء والنواب اتاوات لا بد من دفعها .

فشَرْشَحْناها ، فبعد أنْ كانت صنعةَ الارستقراطْ ،
جررناها معنا الى سقراطْ ، واسكرناها مَعَنا في
كوكي ، وسقيناها زودْياكا بعد جوكي[1] . فلما ضاق
بها الأمرُ بكت ، وذهبت الى رئيس المجلس واشتكت ،
وقالت له يا بعْدَ عيني ، ويا أرشقَ من الرُّمحِ الرديني :

أشكو اليكَ المفلسين وقد أتوا
متنكرين بهيئةِ النـــوابِ
فَرغتْ جيوبُهمُ وطالَ لسانُهم
ولبئسَ هذا الصنفُ من خُطّابِ
يَمشونَ مثل الكادحين بيــادةً
حافي الرؤوس مُهَرْكلي الأثوابِ

(١) كوكي حانة متواضعة من حانات دمشق . والزودياك اردا اصناف السكائر وجوكي كلوب افخرها في حين كتابة هذه المقامة .

لهفي على القوم الذين عرفتُهم

في سالف الدورات والأحقابِ

ركبوا على الروزْ رَيْسْ في غدواتِهِمْ

والويسكي مثلُ الماءِ في الأكوابِ

لم ينبسوا في البرلمانِ بهمْسَة

وجفونُهم لم تكتحل بكتابِ

هيهاتَ يرجعُ لي الزمانُ أحبتي

ويعيدُ عهدَ الأنس من احبابي

فلما سمع الرئيس كلامها ، بكى حسرة امامها ،
ثم حكّ راسه بمداسِهْ ، وشدّ تِكّته على لباسِهْ ،
وانطلق يصيح ، بالعربي الفصيح :

خففي الشكوى وكُفّي دَمْعَكِ

أنا في البلوى غريقٌ مثلكِ

كم دعـــوتُ اللهَ في جُنْحِ الدجى
لطـــلوعِ الفجر بلْكي تهلكي
علّني أخلصُ من فلسفةٍ
وخطـــاباتٍ كضربِ الفشكِ
وشبـــابٍ نغّصوا عيشي بها
بوّظوا بُرغْي دماغي المنهــــكِ
ليتَهمْ منهـــا جنـــوا فائدةً
انما هـــو كله حـــكْي بحكي

هذا عن جلسات البرلمان ، والعجيلي وارسلانيان .
أما عن حلقات الأخوان ، فان لواءَها لا يزال معقوداً
ورواقَها لا يزال ممدوداً ، يتصدرها صلاح المحايري ،
ويديرها سعيد الجزائري . توزن فيها أصنافُ الناس
بالميزان والقسطاس ، وتنصبُ المقلايةُ على حوافيها ،

وويلٌ لزيد من الناس ، إذا وقع فيها : فسعيد يَعيبُه بشدة التقتير ، وصلاح بقلّةِ التفكير ، وضيا بكْ بأنه لا يطير . أما ممدوحُ الميداني ، فيقول عنه إنه أناني ، لأنه في يوم الثـــلاثاء ، رآه ولم يعزمْه على الغداء . ولا تسل عن رسم خالد الكاريكاتوري ، وتعليقات أخينا الأندبوري ، الذي هجر الجماعة ، بعدما توظف في الاذاعة ، فلم يعد كوكي يراه ، ولا بريمو يلقاه كأنه لم يقعد معنا ليلة ويشرب ، أو كأننا لا نعرف المرحومة أم مكسب . . .

أما عن صلاح وعبد المجيد ، فليس لديهما من جديد ، إلا انهما منذ يوم التقسيم ، في هم عظيم ، فقد وجدا أن أقرب طريق للجهاد ، أن يقتلا صديقهما فيتا على رؤوس الأشهاد . ولكن فيتا وكل بني اسرائيل ،

قد هجروا مقهى البرازيل ، فانصرف صلاح يقول ،
وعمر السامعين يطول :

أردنا جهاداً في اليهود فلم نجد
سوى غيدِهِمْ بالطيبات تجودُ

حسانٌ إذا ما مِسْنَ طلَّق كأسَه
نسيبٌ وغَنَّى بالنساء سعيدُ

وان لُحْنَ أذَّنَّا على طول صبوةٍ
ولا بد من بعد الأذان سجودُ

يقولون جاهدْ يا صلاح بغزوةٍ
وأيّ جهـــاد غيرَهن أريدُ

لكل حديث بينهن بشاشةٌ
وكلُّ قتيلٍ بينهنّ شهيــــد

والسلام عليـكم يا من تفهمونَ الكلام . . .

دمشق كانون الثاني ١٩٤٨ عبد السلام

المقامة الصحفية *

حدثنا هيُّ بن بيّ ، قال :

دارت رحى القتال ، بين اهل الصحف والعمال فكان ان ضاعتْ لِحانا ، مابينَ حانا ومانا ، وشمتَ بنا عدنان جانا . ثم جاء العيدُ كابوسا ، والجيوب كفؤاد ام موسى ، ولم يبق لنا أمل ، الا بالمدير الاجلّ ، نقولُ عسَى ولعَلّ .

فرأيت ذات مرة في المنام ، اني كَرَرْتُ القرونَ والاعوام ، وعدتُ من جديد ، صحافيا في عهد هارون

---

* كتب هذه المقامة على لسان صحفي مداعبة للوطني المجاهد الحاج رشيد الملوحي حين كان مديرا للمطبوعات ، وكان رحمه الله معروفا ببدانته وبغرامه بالطعام .

الرشيد . ووجدتُني في قصر الخلافة ، ابحثُ عن ديوان

الصَّحافة ، الى ان أخذ بيدي احد الخصيان ، وقادني

من ايوان الى ايوان ، حتى اتى بي صاحب الديوان .

واذا به نائم في الضُّحى ، بلحية ولا كاللِّحى ، وعمامة

كفَرْدة رَحى ، وبطنٍ كأكبر زير ، أو كمنفاخِ الكير ،

يروح من الشهيق ويجيء في الزفير . فصحت به يامولانا

يا زينَ المقامات ، يا غارقاً في سُبات ، صحفي جاء مِن

الشام ، فالى متى المنام ؟ فتثاءب المديرُ وشَخَر ، وبعد ان

شَخَر نَخَر ، وتحرّك فكأنما تدهده حَجَر ، وصاح ماهذا

العلاك ، اطال اللهُ بقاك ! أليس لي أن اغفو في الغداة ،

بعد ان فتكتُ بدجاجة ونصف شاة ؟ وعادَ فَغَطّ ،

فقربت منه رغيفاً فنطّ ، وقال ماذا ترومُ ، ايها المشؤوم؟

قلت بعثني اهلُ القال والقيل ، من سكان مقهى البرازيل ،
اتسقطُ لهم الاسرار ، واتنسمُ الاخبار ، واتعرَّف
على انباء الحروب ، ليعلّق عليها ابو قيّوب . قال نحن
في وادٍ وانت في واد ، كأنك نسيتَ اننا في بغداد ،
في خدمة امير المؤمنين المظفّر ، ووزيرهِ البرمكي جعفر !
قلت على العين والراس ، هولاء كرامُ الناس ، ومرَتْعانا
من جودِهم خصيب ، فهات ما فيه النصيب . فعبس
وانتحس ، وكشر وزمجر ، وقال دع عنك الترهات ،
واذا كنتَ قلتَ شيئاً فهات . فاندفعت اقول ، وعمر
السامعين يطول :

قصدتُك يا مديري من بعيد

وشـــوقي ما عليهِ من مزيـــد

لك الكرشُ الذي قد ضاع فيه

وفودُ الجاج تترى في وفــودِ

وتأتيك الصواني وهي مَـــلأى

فترجـــعُ فارغـات من جديدِ

كذلك دَيْدَنُ الابطالِ قِدْما

مآ كلهم على قــدْرِ الجهـــودِ

وتشخرُ لست ادري حين تغفو

غطيطٌ ذاكَ ام قصف الرعـودِ

فلو كان الخليفةُ لي مطيعاً

اقامكَ قلعةً عند الحـــدودِ

فأنت الجيشُ زمجرةً وزحفـــاً

وعنـــدَ النوم كالبرجِ المشيدِ

فلما سمع مني الكلام ، تبسم لهذا النظام ، وقَذَفَ اليَّ كيساً من حرير ، للدنانير فيه صرير ، فهجمتُ عليه والتزمتُه ، وقبلتُه عشراً ولثمتُه ، وافقتُ من نومي على ذاك ، وانا من فرحتي في ارتباك ، واذا بي على الحصير ، محتضنا خشبةَ السرير ، وقد اصابني في الرأس جرحٌ كبير .

قال الراوي : وقصصت على سِتيّ هذا المنام ، فبشرتني بالافلاس التام . وقالت : الكبيرُ صاحبُك المَلوحي ، وخشبةُ السرير الاستاذ روحي ، اما تفسيرُ الدنانير والكيس ، فانه في يوم الخميس ، سيلقي بـك الحجاب ، قذفاً الى الباب ، فتتمزقُ ثيابكُ وتَعْرى ، وقد تُشَجُ شَجَّةً اخرى . قلت اذن نحمَدُ الله على الافلاس ،

ونستعينهُ على اكل ديون الناس ، ولا حاجة لنا بمن في المنام ، وعطاؤهُ يشجّ الهام . وهكذا يا صاحبي لم اقبضْ ولا سنتي ، وقضيت العيد مفلساً في بيت ستّي ...

بديع الزمان

* * *

المقامة النهدية .. الى صاحب عيادة الصالحية *

عبدَ الغني يارعشةَ الوسن ، وغنةَ الأرْغُن ،

ويا انتخاءَ الناهدِ الأرْعَن !

وصلتْنا مقامةُ الأديب بابرادها الشفيفة ملتفةً ،

فطرحناها على وسائد الغُرْفَة ، وكان ذلك غِبّاً اثبات

---

* نشرت مجلة « الدنيا » الدمشقية لصاحبها الاستاذ عبد الغني العطري مقالا وقعه احد الادباء باسم مستعار تعرض فيه صاحبه ، مازحا ، للشاعر الاستاذ نزار قباني . وكان المقال مسجعا على طريقة المقامات ، فظن الاستاذ نزار ان كاتبه هو صديقه مؤلف هذا الكتاب ، وكانت له في دمشق عيادة طبية قريبة من جادة الصالحية حين كان عضوا في المجلس النيابي ، فكتب للدنيا هذه المقامة ، المقامة النهدية . وارسلها لمجلة الدنيا من انقرة حيث كان يعمل في السفارة السورية هناك .

والمقامة التالية ، المقامة القنصلية ، هي جواب المؤلف على صديقه الاستاذ القباني وعلى مقامته النهدية .

يوم الوقفة ! . . ولما هممنا بالتقاط لازَوَرْد الشَّفة ،

تفلتت من ذراعنا بخفّة ، وقالت انما يؤكل الكرز

نَتْفَةً نِتْفَة . . . وبعد أن أفرغتْ على نهدها المنضم

كحبة السفرجل بركات اللهفة ، قالت لقد بعث بي اليك

ولدٌ ابنُ نَهْفَة . . . مُسْخَنٌ خفيف . . . ربته أمُّه

كعرق شبٍّ الظريف . . . وعجنته كما يعجن الرغيف ،

وحصنته بشَبَّة وخرزة وألف ياالطيف ، حتى غدا

– ما شاء الله – طبيباً فوق العادة ، له حقنةٌ وعيادة . .

يصبو لنقر سبابته بطن كلّ غادَة ، معروقة كالجرادة ،

وهو عدا عن معالجة مرضاه بالبنسلّين ، وعيادته على

طريق المهاجرين . . قصاصٌ مَكين ، وشاعرٌ متين ،

له قصائد تعبق كشتول الياسمين ، وهو يشابه في إعجاز

أسلوبه أحد الأتقياء المرسلين . . صديقَنا وصديقَ
البارات عبدَ المطلب الأمين ! و « مينْ » لا يعرفه
« مينْ » ؟ من كارل ماركس إلى ستالينْ . . . تقىً
وصلاحٌ ودين . . . يكره المازةَ والمشروب ، ويؤوب
إلى بيته مع الغروب ، ليمصّ من « بزازة الحليب » ،
ممزوجةً بقليل مِن يانسون وزبيب ، وبعدها ينغمرُ
ويأكلُ قطعةَ بسْطِرْما ، وتصرخ في شرايين رأسه
الحمّى ، فيشد الرحال إلى القهاوي ، ليجد حبيب
الكؤوس والنفوس سعيدَ التلاوي ، سادراً بين العرق
والشاورما والكلاوي ، يغنّي بصوت كقرقعة الحجر
المزّاوي ... فيسأل الليلُ ما هذه البلاوي ؟ فيجيبه صاحب
« الفيحاء » : إخرسْ هذا صوت سيد رأسِكَ سعيد

التلاوي !.. حتى إذا أوشكَ أن ينبثق جفن النهار ،

« تهوّن » السادة الى « بسمار » ، يستمعون إلى جعير

الأوتار ، وغنج راقصةٍ وزنها قنطار ، يخاف من عمق

سرّتها الزنّار ... ويتحدّى ثديها نعّارةَ اللبن بخيار ،

حتى إذا اكتمل العقدُ الفريد ، وافاهُمْ حبيبُنا الجزائريُّ

سعيد ، صاحبُ اللسان العتيد ، المنجّدُ أحسنَ تنجيد

كأنه كرباجٌ من السلطان عبد الحميد ... وسعيدٌ

فارسُ كلّ خِوان ، يعبقُ بقناني البلابان ، حتى إذا

حان موعد فتح الجزدان ، قرأ سورةَ الرحمن ، وتعوّذ

بالشيطان ... وقال خاطركمْ أيها الأخوان !

هذا وقد تركتُ الاستاذَ القباني ، ملحوشاً بين

النهد والقناني ، ودستة من المُخْمَل والتَّفْتَة والأغَباني

بينها الكحليُّ والبرتقالي ، يستقطرُ منها أرقَّ الأغانيَ . . .
ولن ينقضي أسبوعان أو أسبوع ، حتى يخضوضر دولابُ
المطبعة ويضوع ، بشعر كأنه الكرزُ المجموع . .
أو عقيقُ الفم الممنوع ، فليطمئن الأديب الكبير ، من
أننا سننيمه على قصائدَ كانهدال الحرير . . يكون له
على كل حرف سرير . . . وشوكة وبِشْكير ، على أن
لا يكون من أصحاب الشخير . وليثق الأديبُ الطبيب ،
المجلّي في باب القصة ، والمختصّ بالزائدة والمغصة . .
وارتفاع الضغطِ والبحصة . . بأن له من ديواننا حصّة . .
تصله مجلّوة معطرَة ، كأنها صبيةٌ مُغنْدرة ، أهدابُها
مهدومة مكسّرة تجيئُه على قطار أنقرة ، تذيب في
شفاهِه المُكشّرة ، نعمى فمٍ تخجل منه السكّرة . . .

وفي النهاية تحمّلْ من شاطيء البوسفور . أعنف الوجد

يا دكتور . . . يا دكتور ! . .

أنقرة　　　　　　　　　　　　عن أبي فرج الاصفهاني

أبو النهد الاشقراني

(صورة إلى الدكتور الصديق عبد السلام العجيلي

نزار القباني)

١٩٤٩



المقامة القنصلية *

حدثنا الكسّاب الوهاب ، الدكتور والبة بن الحُباب ، قال : كانت الانتخابات على الابواب ، وكنت انا والنواسي ، نتأهب لاحتلال الكراسي ، في عهد امير المؤمنين هرون الاتاسي[1] ، والوزير جعفر[2] بن كتخدا ، رب الرشد والهدى ، وحليف الجود والندى ، وبينما انا في المعركة في سعير ، اداهن المخاتير ، واسترضي الدركيَّ

---

* كتبت جوابا على المقامة النهدية ، وفي أثناء انشغال المؤلف بالمعركة الانتخابية عام ١٩٤٩ .

(١) المرحوم هاشم الاتاسي ، وكان يشغل منصب رئيس وزراء الحكومة الانتقالية .

(٢) السيد رشدي الكيخيا ، وكان وزيرا الداخلية .

والخفير ، اذ جاءني كتاب على نجاب ، ممن في الشام من صحاب ، فيه بعد سلام وكلام، وتحيات من أهل الشام، ان صاحبنا صريعَ الغواني ، ابا النَّهْدِ الاشقراني ، الذي بعثناه منقبا عن الجَفْنَةِ المُثْعَنْجِرة ، والطعنةِ المُسْحَنْفِرة ، قد خاننا في أنقرة[1] .. وبدلا من البحث عن رفات امرىء القيس في جَبَل عَسيب ، وعن قبر الغريبة والغريب[2] ،

---

(١) تقول الروايات ان امرأ القيس لما احس بقرب المنية وهو في انقره ، في عودته من القسطنطينية ، قال :

كم طعنة مسحنفرة وجفنة مثعنجرة

تبقى غدا في انقرة

(٢) لامرىء القيس ، في الروايات نفسها ، يخاطب قبر امراة غريبة في سفح جبل عسيب ، في انقره :

اجارتنا ان الخطوب تنوب

واني مقيم ما اقام عسيب

اجارتنا انا غريبان ها هنا

وكل غريب للغريب نسيب

فـانه تأبط قيثارَه وعودَه ، وامتطى للغزل قَعودَه ،
وانشغل عن البَعْثة والسفارة ، بصبايا الحارة ، وعشق
الجارة وبنت الجارة . فلما قرأتُ الخبر ، ايقنتُ بالخطر
وقضيت الليل في كدر وأيّ كدر . حتى اذا انصرفت
إلى المنام ، رأيت فيما يرى النائم مِن احلام ، اني امتطيت
دابة تدعى الأسْطول ، الى بلاد اسمها الاناضول ، فلما
بلغت الحدود ، اوقفني الجنود ، وقالوا فارسي أنت أم
من الهنود ، أم أنت من إقليم يوتاه وميسوري ؟ قلت
بل أنا ولا فَخْرَ سوري ! قال واحد منهم خذوه اذن
إلى القباني نزار ، المقيمِ في تلك الدار ، بين القنـــاني
والأوتار . فانصرفت فاذا بصاحبنا أبي النهد الأشقراني ،
هو بعينه نزارُ القباني ، قد اختلى بسمراء من الغواني ،

يبثُّها الهوى ، ويشكو لها حرَّ الجوى ، ويقول لها ، وقد
ذاب تدَلُّها : بربك من صبغ بهذا الشفق اللَّيْلَكِي
وجنتيك ، وطعَّمَ بالفُسْتقِ الحلبيّ شفتيْك ، لبيك يابرعم
نهدها لبيك ! فتقول له الهانِمْ : نَهْ دِرْ بُو جانِمْ[1] هات
أعطني الفيَزا . . . فيصيح : أفدي شعركِ الابريزا ، يا الذَّ
من بيرةِ لزيزا ! . . حينئذ رأيت شيئاً قد طارَ وارتفع ،
وفي حضن صاحبنا وقع ، ظننتُه في البدءِ شهاباً خرَّ
من السماء ، فاذا به حذاءُ الحسناء . وإذا بأبي النهد
الأشقراني ، على رواية الأغاني ، يقول ، بعد الصلاة
على طه الرسول :

---

(١) نه دربو جانم : عبارة تركية ، تفيد الدهشة ، ومعناها
ما هذا يا صاحبي ؟

قالتْ لي السمراء[1] .. انكَ باردٌ
فأجبتُهـا بل أنتِ منيَ أبردُ

ترمين بالنعـلِ العتيقـة عاشقاً
يا حبذّا لو أنَّ نعلك أجددُ

هـذا حذاؤك ياصبية في يدي
يروي حكايات الغرامِ وينشدُ

كم قد خطرْتِ به غزالاً نافراً
وخطوت والخطو الرفيقُ تأوُّدُ

يا ليتني اضحيتُ قشرةَ مـوزةٍ
كيما أزحلقُكِ الغداةَ فأسْعَدُ

---

(١) «قالت لي السمراء» اسم أول ديوان أصدره الاستاذ نزار قباني .

وأراكِ في نورِ الضُحى مبطوحةً

والثوبُ منك ممزقٌ ومبــددُ

لهفي على سوتينِ صدرِكِ حينما

يطغى عليــه نهدُكِ المتمرّدُ

تيهي علينـــا بالصـدود فانني

عبدٌ لحسنكِ ، والقناصل تشهدُ

ورضيت منك بـكل فعـلٍ بارد

الا الصدود ، لئن صددتِ سأحردُ

قال والبةُ بن الحباب ، فلما سمعت من صاحبنـــا

هـذا الجواب ، ثارت في نفسيَ العصبيّة ، والنخوةُ

اليعرُبيّة ، وعجبت من تذلّله لهذه الصبية ، فقلت له

يا نزارُ بنَ ربيعة . . . فصاح بي : قطيعة ! ماذا تريدْ ،

يا آكل الثريدْ ؟ وأشار غاضباً إليّ بيديه ، فحملتُ عليه ، حينئذ استبد به الفزع ، وعدا ثم وقَع ، ثم عدا ووقَع . فاصابني عليه الجَزَع . واستيقظت في جزعي من غمرات الأحلام ، فاذا بي لا في الأناضول بل في ديار الاسلام ، وإذا كل ما رأيته أوهام بأوهام . .
السلام عليكم وعليكم السلام .

الرقة بديع الزمان وبعيد المكان

١٩٤٩



المقامة الباريسيّة

« رسالة الى الاستاذ يونس بحري وشلته في باريس »

من عبدِ اللهِ وابن أمَتِه ، والذي خصَّه بنعمتِه ، واجتباه بأنْ جَعَلَ في الرقة داره ، في أرفعِ جاره ، وذرَّ غبارَ الفلاةِ في عينه كحلا ، وسقاه من ماءِ الفرات طيناً ووحلا ، واقامه في دار الاسلام ، خيرَ مقام ، في حمايةِ الباشا عزّام . . .

إلى إخوانِنا الذين تسابقوا إلى الايمان ، بالشيطان ، فألقاهم اللهُ في جهنّم باريس ، أعواناً لإبليس ، وحرّم عليهم ظهورَ العيس ، بأن جعل مطيتهم « الرابيدَ »

من القطار ، وربما ركبَ احدُهم الطيارةَ فطار ، وسلبهم

نعمةَ مجالسةِ مشايخِ العَرَب ، ولذةَ حكِّ الجلدِ من

الجَرَب : ذي النون يونس ، الذي تاه بين ليبيا وتونس.

وما ضغِ القات ، أحمدِ بنِ عويدات . وأديب وجبّار ،

وكلِّ من في باريس من أهل النار ، من راقصين على البيستْ

أو جالسين على البار ، تلتفّ حولَ اعناقهم أذرعُ الغيد

كأنّها الأفاعي ، ويخوضون في دنيا الوجودية خوض

البُهْم في المراعي . اذا جاعوا أكلوا الويتر واللانغُوس ،

وأن عطشوا فحرامٌ عليهم شرابُ العِرْقِسُوس ، وإنما

شرابُهم من المُنْهل الذي اسمه شَمْبانيا ، وجعةٌ مستوردة

من ألمانيا ، ومازتُهم لا مكدوسُ اللفتِ ولا مخلّل

الخيار ، وانمـــا روستو وكافيار ، وقُبْلةٌ من خد

البخشوَنجي مختار . . . فيا بؤس هذا العيش من عيش ، والى متى يا يونُس هذه الصعلكة والطيش ؟ !

إخواننا ، إن جاز منكم عنّا السؤال ، فنحن في أحسنِ حال . . . صُمْنا الشهرَ منذُ طلوعِ الهلال ، وفي كل ليلة نصلّي التراويح ، ونغنّي التواشيح ، وراءَ امامٍ همام ، لحيتُه كلحيةِ الاستاذ ناجي قبْل الحلْق ، ومشيتُه كمشيةِ الدكتور بدوي في باب الخلْق . ونحن ندعو لكم في اعقاب الصلوات ، احرَّ الدعوات ، بأن يرزقكم ما رزقنا من فتّةَ بكباب ؛ ولبناً رائبـــاً يملأ الاكواب ، وشراباً طهورا من التّمر هندي ، وفاكهةً من اليوسف أفندي . اما الموسيقى فنايلٌ على الربابة ، او صوتُ ميجانا وعتابا ، وان شئتم طنّت لكم ذبابة ، لحناً اطرب في سالف الآباد ، اخانا الدكتور البدوي

خليفةَ عنتر بن شداد، إذ قال يصف سهرة في الكابولاد:

وخـلا الذباب بها فليـس بيـارح
غَرداً كفعـل الشـاربِ المترنمِ
هزجاً يحـكُ ذراعَـه بذراعـه
فعلَ المُكِبِ على الزنادِ الاجذمِ
ولقد شربتُ من الزجاجة بعدما
ركدَ الهواجرُ بالمشوفِ المُعْلَمِ
في الكابولادِ وفي جواري غادةٌ
من اهـل إسْوجَ عذبةُ المتبسَمِ
عاطيتُها كاس الطلا فتدللّت
لم تَجفُ تلعابي ولم تستسلم
رقيتُهـا بالفلســفات لعلّهـا
تحنو على انّات قلبي المُغْرَمِ

اتلو لهـــا الانسكلوبيديا كلّها

ومقالتَيْ سـارطُون في ابنِ الهيثَم

حتى اذا لعب الغرام بعطفهـا

وغدتْ مُطاوعةً بُليتُ بأرقمِ

بادي التصعلكِ في الفراتِ معوّدٍ

أن يستبيحَ سبيلَ كلِّ محرّمِ

فمضى يعانقها اللعينُ ولم أنلْ

منها سوى ايماءةٍ وتبسمِ

اما بعد فباجيرةَ السينْ ، وساكني شارع فيفيْنْ ، قد بلغتنا حملاتُكم علينا ، دونَ ما ذنب جنينا . طورا تتآمرون علينا مع رياض ، وتزعمون جهلنا بعلمِ الامراض. وتارة تلفقون لنا التُّهمَ افانين ، وتزعمون أنا كنا في

صحبتكم مجانين . أشهد أنا كنا مجانين في قُربِكمْ ، لا من حبّكم ، وإنما بالجنون أعديتمونا ، شربتُم من كأسه وسقيتُمونا . ومن ذا الذي يشرب من ذلك الدنّ ، ولا يُجنّ ؟ إن الدكتور البدوي قد انسطل ، وأصابَ رأيَه الخطل ، لا من ادمانِ الفلسفة ولا من التحشيش ، وإنما في سهراتِكم في « البولْ ميش » . أما الدكتور البوري فقد هرَب ، خوفاً من عدواك يا شيخ العرب . ولعله اليوم في ليبْيه ، بعيداً عن ليالي الكُتْبْيَة ، يحمَدُ ربَّه أن أتاه النّقْل ، وفيه بقية من عقْل ، تعينُه على قادمات الأيام ، والصلاة خلف جلالة الامام .

نعم لقد رميناكم بهذه الفُرقة ، أُناس في الرِّقة . . وآخرون في بَرْقة . . . فاعلموا أنا ما أسفْنا لبُعدِكم ، ولا متنا كمداً بعدكم ، وإنما شقّ علينا فراقُ « الدوبون

لاتان » ، وأصحاب لنا في « السان جرمان ». فبالله عليكم ان مررتم بالحيّ ، حيث يلتقي التقي بالغبيّ ، فادخلوا الماركوزو ، وقبّلوا لنا وجنات الآنسة ميزو ، وقولوا لها يا حلوةَ الوجهِ والقوام ، كتب إلينا فتىً من أهل الشام ، يقول ، وعمرك وعمر السامعين يطول :

عوجوا فحيوا لميزو دِمْنَةَ الدار

ماذا تحيّونَ من نُؤيٍ وأحجار

ومن قوالب حَلْوى في خزائنها

ومن فناجينَ ملقاةٍ على البارِ

ميزو التي صَمَدَتْ ما فلّ حدّتَها

إغراء وهي ولا اغواء جبّارِ

كم بتُّ في جنبات الحي أرسمُها

فهل تراها تسيغ اليومَ أشعاري

لم ينسنا البعدُ يا ميزو أحبتنـــا

وأربعَ اللهْو في عرْضِ البوليفار

وقهـــوةَ بحليب في كئوسكم

ألذَّ من قهوةٍ في حان خمَّار

لعلَّ من رزق « البحريَّ » يرزقُنا

بكمشةٍ من ذواتِ الألف دولار

كي نستعيدَ حـكايا ليس يعرفُها

في ضفة السينِ الا بضعُ أشجار

سبحانَ من قسمَ الأرزاق أنصبةً

ناسٌ لديـكم وناسٌ في لظى النار !

وفي الختام ، سلام ، على من فهم الكلام ، وصلّى على خير الأنام ...

* * *

١٩٥٢

المقامة الجنيفية

جنيف ، بعد صلاة العصر ١٥ من
محرم الحرام سنة ١٣٧٢

اجتمع هذا اليوم في جِنيف ، من أصحاب المزاج والكيف ، الضاربين بالسيف ، والمكرمين للضيف ، ثلاثةُ فطاحل ، بين سمين وناحل ، أولهُم العجيليّ عبدُ السلام ، الذي أزعج الأنام ، في بلاد الأروام ، حتى بعثوا به طرداً مرتجعاً إلى ديار الشام . وثانيهم أديبُ ابن المُروّة ، الذي أوقعَ السويسراتِ من هواه في هوّة . وثالثُهم ثالثةُ الأثافي ، وآفةُ القوافي ، فتىً برشاقةِ القوامِ موصوف ، إن قَعَد فرأسٌ من الملفوف ، أو سار دار

على نفسه كالخُذْروف . . ألا وهو ابن سويد معروف

وبعد أن قرأ الفرسانُ الثلاثة ، معلقةَ علْقَمةِ بن عُلاثة ، والفاتحة على روح يونس البحري ، وأشفعوها برسائل أديب إلى جريدة « المصري » ، تذاكروا أمر الأخوان الميامين ، ناسٌ في باريس وآخرون في الصين وبينهم رياضُ القابعُ في مكتبه على السور ، يشرفُ على ما بين الهِرْمل وصور ، قد سلّط قلَمَه في هذه الأيام على اللصوص ، متمنطقاً بالوثائق مسلحاً بالنصوص ، وما ذلك إلا ليبعدَ الأفكار ، عن مغامراته مع حسان أبيدجان ودكار ، من كل ذات شفةٍ كالطَبَق ، وسحنة بلون الغسَق ، في أذْنِها خمسةُ أرطالٍ من الحلَق . وتلك حيلةٌ قد تجوز على سكان جزر الواق الواق ، وتروج

بها « الأحدُ » في الأسواق ، ولكنها لا تجوز علينا نحن

جوابي الآفاق . لذلك فقد قررنا بناءً وبناء ، أن ننزع

الخفاء ، ونكشف الغطاء ، عن حقيقة غانغستر القلوب ،

فحررنا بالاشتراك هذا المكتوب .

أما بعدُ فيا أخانا رياض ، لقد شاع عنك الخبر

وفاض ، أنك بعدَ الرحلة الأفريقية ، اصبحتَ من

أساطين الدولة الفينيقية ، تولم لك الولائم ، وتنحرُ

لك السوائم ، ويَهتفُ باسمكَ القبضايات ، وصرتَ

تُعطي وكنتَ تقول معنا : هات ! لذلك فقد قرَّرْنا

بالاجماع ، أن نقول لكَ ماع ، فنطردُكَ من عصبة

المفاليس ، ونحشُركَ مع المناحيس ، ونرشّحُكَ في العهد

الجديد ، نائباً في المجلس العتيد . ومن يدري ، فقد

يستمرّ بك النزول ، إلى أن تُمسي وزيراً على طول .. فالدهر
طالما هزَل ، وكم ممن يحسبُ نفسه في علوٍّ وقد نزل.
حينئذ قد يقف ببابك أديب ، يطلب منك حديثاً فلا
تجيب ، فإذا ذكَّرك بأيامٍ تسكعكما على البرج ، حين كنت
تتحدث وهو يحطّ بالخُرج ، فلا يبعد ان تستعدي عليه
الشرطة ، وتلقيه من سلطانك في ورطة . وحينئذ قد
تأتي بمعروف من جنيف ، لتعيّنه في حضرموت مندوباً
او في القُطيف ، فان شكا لك الحرّ وسوء الحال ، نقلته
رأسا إلى الصومال ، وقلت له لا تكنْ ضيّق العطَن ،
هكذا يا معروفُ يخدم الوطن . امـا العجيلي فلن
يكون لك عليه سلطان ، ما دام بعيداً عن لبنان ، فاذا
دخل الفخ ، وتعرض لجبروتك يا أخ ، حينئذ تعيـد

عليه الماضي دقَّةً دقَّة ، أيام كنت صعلوكاً وكان نائب الرقة . . .

ولما كنا نتوقع حقا أن يسوءَ الحال ، ويصير الأمر إلى هذا المنوال ، فقد قررنا أن نترك لك العيش في لبنان ، والتنعمَ بعشرة الاخوان . وصحبةَ بو خليل وبو طنوس ، وان نترك معها صحونَ الحمّص وشراب العرقسوس : فنحن والله مالنا طاقة بالسياسة ، ولم تخلق لامثالنا الرياسة ، اقصى منانا كأسٌ في بار ، وقبلة من شفة كالجلّنار ، وعلى ضفاف البحيرة كامْ مشوار . . قد ضربنا على شطئانها قبابنا في مغانيها رِغابنا ، وعن ذلك قال ، أخوك المفضال :

ما زلت أرمي موامي البيدِ بالعيسِ

حتى نزلتُ جنيفاً بعدَ باريسِ

ضربت فيها خبائي فوق رابية

عند البحيرة في قلب الفراديسِ

أصبّحُ الغيدَ بالبُنْجورِ كلَّ ضحىً

وكانَ قدماً صباحي وجهُ فدعوسِ

أقول لابن سويدٍ حينَ يعذلُني

هنا المكارمُ لا في باب إدريسِ

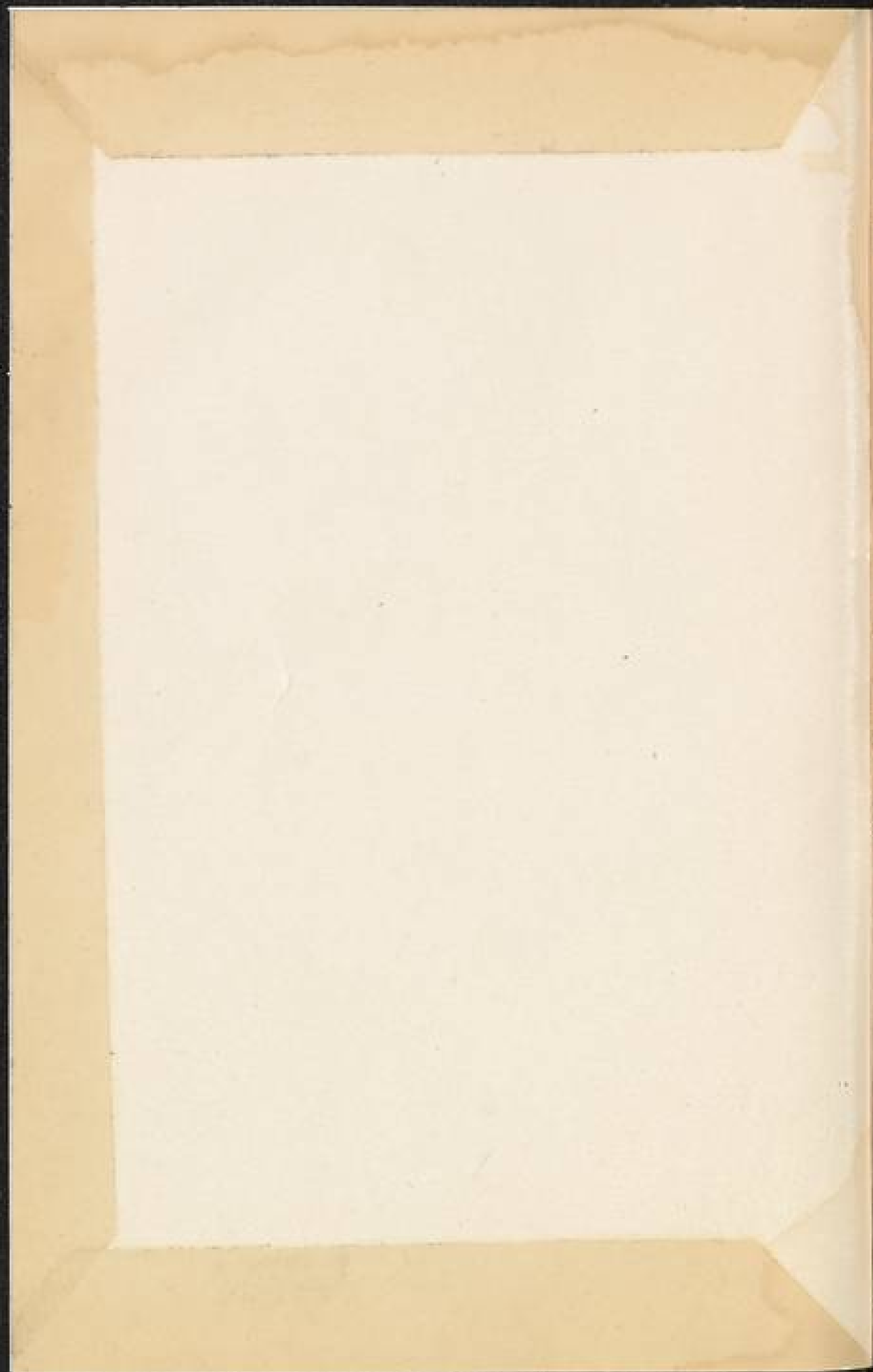
فاغنم لذائذَ هذا اليومِ قبلَ غدٍ

لا بدَّ من رجعة يوماً إلى البوسِ . .

١٩٥٢



المطبعة الهاشمية



كتب المؤلف

بنت الساحرة	مجموعة قصص	١٩٤٨
ساعة الملازم	«	١٩٥١
قناديل اشبيلية	«	١٩٥٦
الحب والنفس	«	١٩٦٠
الخـان	«	١٩٦١
باسمة بين الدموع	روايـة	١٩٥٨
رصيف العذراء السوداء	قصة طويلة	١٩٦٠
حكايات من الرحلات		[illegible]٤
الليالي والنجوم	ديوان شعر	١٩٥١

المطبعة الم

